

أثر الثورة التي قام بها مسلمو المدينة ضد حكم ابراهيم باشا، (عام 1834م) والتي قمعت، من قبل الحاكم المصري، بشدة متناهية ذهب ضحيتها من الثوار، في معركة واحدة (نيسان/ ابريل 1834)، «ثلاثة آلاف قتيل وخمسمائة أسير» بحسبما ذكره «عارف العارف»⁽¹⁾، هذا عدا ما خلفته المعارك الأخرى بين الثوار وعسكر ابراهيم باشا من ضحايا، خصوصاً وقد عمت تلك الثورة فلسطين بأسرها⁽²⁾.

كان التسامح الديني الذي اتبعه الحكم الإسلامي، خلال القرون السابقة، في مدينة القدس، كما في بلاد المسلمين كافة، قد أدى إلى أن سكن المدينة المقدسة عدد كبير من المسيحيين واليهود إلى جانب المسلمين، مما أقام بين هذه الطوائف، على اختلافها، لحة وطنية ومجتمعية وثيقة، وخلق، بين المؤمنين بالأديان السماوية الثلاثة، وشائج من الود والتآلف، لم تعرف من قبل، ولكن ما أن احتل ابراهيم باشا بلاد الشام، ومنها فلسطين (والقدس من ضمنها) حتى بدأ بتنفيذ سياسة مالية وضرائبية مرهقة لأهالي تلك البلاد، كما أنه عمد إلى ضرب زعامات بعض الأسر الإسلامية ونفوذها، وهي الأسر التي اعتادت، بحكم التقاليد السائدة، أن تفرض سيطرتها على باقي سكان البلاد⁽³⁾، ثم عمد إلى جمع السلاح من الأهالي، وفرض التجنيد الإجباري على الشباب المسلم (دون سواه، وفقاً للشريعة الإسلامية التي تمنع تجنيد أهل الذمة فيما يسمى بالجهاد). وكان من شأن هذه التدابير أنها «أغضبت المسلمين» إلا أنها أثارت ارتياحاً لدى باقي الطوائف من «النصارى واليهود» مما خلق تنافراً بين المسلمين وغيرهم من الطوائف⁽⁴⁾.

وتفاقت الأمور بين الأهالي والحاكم المصري بسبب تفاقم التدمير من سياسة ذلك الحاكم، إلى أن انتهى الأمر بأن اندلعت الثورة، ضد الحكم المصري، في فلسطين والقدس، كما في باقي بلاد الشام. وكان الثائرون، في القدس، من

(1) المفصل في تاريخ القدس، ص 383. وقد توقعنا عن إجراء التوافق بين التاريخين الميلادي

والهجري عندما بلغنا، في هذه الحروب، القرن الميلادي العشرين.

(2) انظر أخبار هذه الثورة عند: العارف، عارف، م. ن. ص 277 - 291.

(3) انظر أسماء هذه الأسر، في م. ن. ص 279 - 280.

(4) م. ن. ص 280.